ثورة الحق

بقلم : العلامة الشيخ محمد امين زين الدين

مرت ليلة عاشوراء قصيرة الظل ، طويلة الركوع والسجود ، وطلع الفجر من يومها قاتم اللون ، احمر الجلباب ، وتأهب التاريخ لاملاء صحيفة جديدة ملونة بالدم والنور ، ومدت الشمس ذراعيها تتلقى بهما دماء طاهرة ، وتحيي أرواحا زكية ، وتدافعت في كربلاء سيول من الظلم ، وتراكمت أمواج من الطغيان وعادت أرضها مجتلداً للحق والباطل ، ومصطرعا بين الهدى والضلال ، وتنكبت فتيان علي سلاحها تثأر للحق الغاضب ، وتنتصر للدين الناقم .

وحسين أمام فتيانه يبتسم للمقادير كيف تجري ، وللايام كيف تدول ، يبتسم لهم ابتسامة الظافر ، ثم يلقي تعاليم القائد الفاتح : « صبراً بني الكرام فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم من البؤس والضراء الى الجنان الواسعة والنعيم الدائم » .

ليقل التاريخ في صفة الموقف ما يشاء وليسجل في نعته ما يريد ، فلن يستطع تحديد ما كان ، وهيهات له أن يستطيع على أن الموقف لم يخلق للتاريخ وحده ، فكيف يحيط بجميع نواحيه ، وللعبر من وراء التاريخ نظر أعلا وللمنطق ميزان أدق .

يقول التاريخ : قتل حسين وابيد أهل بيته ، وانتهى بذلك كل شيء ، وتقول العبرة : لم يقتل الحسين ، ولم ينته من أمره شيء .

لم تكن حرب الحسين ويزيد عراكا بين فرد وفرد ولا قتالا بين فريق وفريق ، وانما هي نضال بين مبدأ ومبدأ ونزاع بين هدف وهدف ، والمنتصر منهما من أحرز الغاية وإن كان مقتولا ، والفاتح من أدرك القصد وان كان مخذولا ، لا يزال الحسين حياً ، مادام مبدؤه في الحياة ، وسيبقى الحسين للخلود ، لأنه كفل لمبدئه الخلود .

ويقول التاريخ : هي خصومة حادثة ، ولدت مع هاشم وعبد شمس ، ونشأت مع عبد المطلب وأمية ، واكتهلت مع محمد وأبي سفيان ، ويقول المنطق الصحيح هي خصومة قديمة ، نشأت يوم كان الحق حقاً ، وكان الباطل باطلا .

يقول أبو سفيان قبل اسلامه :

(أعل هبل أعل هبل) ثم يقول بعد اسلامه : « تلقفوها يابني أمية تلقف الكرة بايدي الصبيان فوالذي يحلف به أبو سفيان مامن جنة ولا نار) .

ويقول حفيده يزيد بن معاوية :

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

فهل نجد فرقا بين هاتين العقيدتين لهذين القائلين ، وهل غير الاسلام من أمرهما شيئاً ، واذا تكلم الاول بكلمته قليلا لانه قالها بين بني أبيه ، وسئل من قبلها « أفي المجلس من يحتشم » فان الثاني يجهر بها في مجلس الخلافة الاسلامية ، وبين جمع حاشد من المسلمين ، ولم يكن معاوية منها ببعيد ، ولكنه يلمح اليها من وراء حجاب يقول يوم المدائن (ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا . . . وانما قاتلتكم لأتأمر عليكم .)

أجل انها عقيدة راسخة توارثتها أمية كابراً عن كابر ، واخذتها طريفاً عن تليد ، ولكن يأبى ايزيد مجونه واستهتاره إلا ان يفضح السر الذي كتمه آباؤه ، ويعلن المبدأ الذي ورثه عن أسلافه .

وما عسى أن يتفاءل المتفائلون الدين على يد هذا الماجن ، وما عسى أن يقول القائلون في حسين إن لم يثر بحقه ، ولم يثأر لميراث جده .

لقد آن له أن يهب الحياة لوديعته ، والجهاد صنوف وألوان .

لقد آن له أن يقدمها ضحايا من كهول وشبان ، وقرابين من نساء واطفال .

لقد آن له أن يري الباطل صولة الحق ، وأن يشهد الارض غضبة السماء .

لقد آن له أن يثيرها عاصفة من قضاء ، ويرميها صاعقة من دماء .

واذا بذرها محمد في النفوس عقيدة ، فلتمزجها